حيث صار الموت عادة

« بعد لقاء مع الأطفال الفلسطينيين اللاجئين والأطفال الجرحى من مدرسة بحر البقر . كان لقاؤنا في بوتسدام ، وهناك تقاسمنا الدموع والحلم .. »

افتتاحية :

(أبي آدم الحزن ،
من ضلعه امتشق الحالمون
حراباً ،
ومن ضلعه امتشقوا
زهرة للفرح ..)

ويقول الشاعر والشاهد :
أَضربُ بحر الدم

بعصا أحزاني السحريه
لنشق طريقاً للبوابات السريه
ولنعبر يا قوم
أحلامي شاهقة والدرب طويل
والنسل الآتي
يقفز دون مظلات ومواقع إنزال
يقفز .. من رحمٍ .. لرجوله
ويزيح عن الكتب الموروثة والسيف الموروث
أكداس رمادٍ ورمال
فهدوءاً ، أجدادي الباكين لأجلي في صمت
الباكين لأجل قناطرنا البيضاء
ولأجل سنابلنا المختنقه
تحت ضجيج الأعشاب البريه !

ويضيف القاضي والشاعر :
أضرب بعصاي السحريه
في غرف التحقيق المفتوحة للناس جميعا

لجميع الناس
من كل الأجناس
وتَرُدّ بنادقهم .. هُم ..
ويكون جواب واحد :
ماذا نفعل غير القبض. على الأسرار
في أعماق الصدر لنختصر الأعمار ؟
هل نَصلح نافورة ماء
في ميدان ينتظر طقوس التدشين ؟
هل نصلح شبَّابة راعٍ
ومرشَّات لزهور الساحات ؟
أو أرجوحة طفلٍ أو عكازة شيخ ؟

ويضيف الشاهد والقاضي :
لم يجد الحقل المهمل تفسيراً للشوك !
لم تجد الجدران
تفسيراً لطلاء لم يتجدد من عشرين
لم تجد الأشجار

أيُّها الحيّ الباقي
بارك قيامتنا ، بارك وَجْدَنا المقيم كروحك
خُذ بأيدينا المشتعلة بالحياة
لنشهر ميلادنا، من مآذن القدس وجَرَسيّاتها
وفي أعالي صبانا الزاخر بك
نستعيد الذكريات على ضفاف دجلة !
(أيتها المتبدِّدة في زحام الأرض
لماذا كنتِ بعد كل هذا العدم ؟
لماذا تشكلت بعد كلّ هذا الهُلام ؟
ولماذا أفقدك ـ بعد كل هذا الفقد ؟!)

ويضيف الشاهد :

خمسة آلاف من أحبابي

عشرة آلافٍ .. عشرون

ـ لا أذكر ـ ما زالوا في طابور الحرب

لتسجَّل أسماؤهم المحذوفه

في كتب الموتى

وعلى أرصفة النكبة ينتظرون

سيارات الاسعاف الموعوده

(لا فرق .. صليب أحمر

وهلال احمر

أو نجمة داوود الحمراء)

أحبابي قبلوا بكفافٍ يومي

لكنْ دفعوا الثمن إلى آخرهِ

دفعوا ثمناً لكفافٍ دهري

قبلوا . وانتظروا عدل وكالات الغوث

لكن السفن جرت ،

كيف تشاء الريح ..

ويضيف الشاعر والشاهد :

فقدتْ أل التعريف

قيمتها .. فقدتْ قيمتها

أل التعريف

فلتعلن موقفها الآن حروفي الشمسيه

وحروبي الشمسيه

والدبابات الطيارات الرتب الرادارات الخطب الشمسيه

موقفها .. الآن .. الآن

« الآن الآن وليس غداً

أجراس العودة فلتقرع ! »

كمثراة ذابلة وطني . قلب كاسد

ينبش في أنقاض الذكرى

في حمأ البركان الخامد

عن صور الآباء المنفيين

والأبناء المنفيين

حيث غدا النوم على حد السكين

من عادات القرن العشرين

حيث غدا الموت اللا معقول
عادة عادات الشعب المجهول
في هذا القرن .. العشرين !

تذكير آخر بالافتتاحية :

(أبي آدم الحزن ،
أعطى . وصلى . ونام
وجئت لأبصره عن كثب
لألمسه مرةً ثم أمضي
لأحضنه مرةً ثم أمضي
لأحفظه مرةً ثم أمضي
وبين ضلوعي جميع العرب)

ويضيف الشاعر والشاهد والقاضي :

من أعوام ألف
وأنا أحلم بشجيرة وردٍ .. لا غير
وقبيل الموت الأول

كان خروجي من آخر أبواب الحلم
وإذا في الحوض .. شجيرة ورد
ومددت يديَّ مددت يدي مددت يدي
وتكاثر من حولي أهلي
مدوا أيديهم مدوا أيديهم مدوا أيديهم
لكنَّ الموت اللا معقول
أصبح عادة عادات الشعب المجهول
في هذا القرن العشرين !

ويضيفون جميعا :

بيدي هذه
بأصابع كفي هذه
سبَّلتُ جفوناً لم أبصر روعتها قبل الموت
وشددتُ زنوداً لم ألمس روعتها قبل الموت
سبَّلت جفون أحبائي
وشددتُ زنود أحبائي
بيدي هذه

بأصابع كفي هذه
(مهلاً . مهلاً . لم أكمل
مهلاً . لا تتهدَّج يا صوت !)
رقدوا حتى أنهض من موتي السّابق
وأنا أبصرهم
منتصبين وراء الأشجار الوعريه
ووراء صخور الوديان البنيّه
أبصرهم
أعينهم تلمع كمرايا سريَّه
تنقل للجيل الصاعد
من قعر الليل الراكد
أسرار الميلاد .. إشارات الميلاد !

ويضيف الشاهد والقاضي :
أعرف وطني .. من حد السكَّة للبيدر
وغداة تطول مسافات الغربه
أعرفه أكثر !

أعرف وطني
منذا يعرفه مثلي ؟
في لغتي تتبادل وديان وجبال
وجهات النظر عن الطقس القادم
في لغتي تسأل بياره
وتفكِّر أحواض وكروم
بشؤون أغانٍ ومواسم
لكنْ .. ما عادت في لغتي
أخبار الصحف السيَّاره !
أحفظ عن غيبٍ وطني
أحفظ أغنية منسيَّة
وخرائط ضاعت .. وهويَّه
ضاعت .. وحكايا شعبيه
منذا يحفظه مثلي ؟
حين رأوني أنمو في كل جهات الأرض
قالوا : نحتكم إلى التاريخ
وضحكت . بكيت .

عايشت صنوف التاريخ جميعاً
عايشت جميع صنوف التاريخ
الزائف والمدسوس
والكاسد .. لم تنفد طبعته الأولى
والمكتوب بدمع العين ودمع القلب :
قرِّي يا عيني .. مارست التاريخ
قرِّي .. أحسستُ التاريخ
يا عيني قرِّي .. أدمنتُ التاريخ
وكتبتُ بدمع العين ودمع القلب :
صنعوا من كرهي وطناً
صنعوا من موتي وطناً
وانا .. وطني ،
حبي عتْبة بيتي ، مقبض بابي ،
صورة جدي ،
واسمي المنقوش على الجذع السري ..

وينادي الشاعر :

ومتى ننشد للحق

إن لم ننشد ساعة ينتصر الباطل ؟

ومتى ننشد للحب

إن لم ننشد ساعة تنتصر البغضاء

ومتى ننشد للسلم ؟

إن لم ننشد في أحزان الحرب ؟

انتم . يا حراس الليل المنطفئين على الأقفال !

انتم . يا شعراء الحمّى والزقّوم !

من لا تقنعه القبلة لا يقنعه السيف

فلنعط الشفة مهمّتها

ولنعط السيف مهمته !

يا طلاب العلم من اللحد إلى اللحد

حين تغصُّ منصّات العالم

بالفتنة والنار الموبوءه

تنضج فاكهة العقل الممنوعه

وتصير نبوءه

حين تذل منصَّات العالم
تنضج فاكهة القلب
فليُسعفني العالم
بنشيد آخر للحُب
وأنا أقضم تفاحة موتي
وأغني .. في فرحٍ وشهيَّه !

[«الاتحاد» ـ ٢٥ أيلول ١٩٧٠]